مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٧) العدد (٢)
الإصدار الثاني والعشرون
(١-١٩) ٢٠٢٤

# التّناص في ضوء أدب المقاومة دراسة في ديوان "إلى وجه فلسطيني" للشاعر عبد الستار سليم

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

*د.خلف محمد كمال إبراهيم*

*نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٤م*

*** المقدمة**

الأرض، الهويّة، الدِّين واللّغة هي أوجه لعملة واحدة تمثِّل الوطن الذي يحيا داخل الإنسان وبدونه لا حياة، ومن منطلق هذا الشعور يدفع الإنسان العربيّ أن يضحيَ بأغلى ما يملك وهي حياته، "والشعر أكثر الأنواع الأدبيّة قدرةً على امتصاص رحيق الكارثة ومقاومتِها في حينها، هو فن الذيوع والانتشار لما يحتويه بناؤه الموسيقيُّ في اختيار الكلمات وطريقة وضعها إلى جانب بعضها البعض من قدرة على الانتقال من الفم إلى الأذن إلى القلب، فهو يعتمد على حرارة الانفعال التي يسهل انتقالها بالعدوى"[١]

وأدب المقاومة هو الأدب الداعي للحرية والتخلص من العبودية، فعلى مدي الأجيال كان الأدب أكثر الفنون التصاقا بالثورة وأقواها جميعا في التعبير عنها وما من ثورة عرفها التاريخ إلا كان الأدب هو الممهد لها، بالخطبة والقصيدة والمقال والقصة والرواية وما أليها، ثم كان بعد قيامها هو الداعي لها والناشر لمبادئها والمدافع عنها، ضد مناهضات الخصوم والأعداء، فإذا استقرّ أمرها كان الأدب هو الراصد لمسيرتها والمسجل لخطواتها والمعبر باستمرار عن تأييد المجتمع لها أو سخطه عليها[٢].

*** التمهيد**

إرادة الحياة الكريمة هي مطلبُ كلِّ إنسان، وعندما تجدُ الشعوب ما يعرقل الوصول إليها، ويعوقُها عنها، تثور ضده، وسلاح الكلمة هو ضمن الأسلحة التي يُقاومُ بها كلّ من يعتدي أو يتعدّى ويتجاوز معاييرَ هذه الحياة التي يسودها

[١] ، أدب المقاومة غالي شكري ٦٠ مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، د.ت ، ص٣١٧

[٢] عبد الصبور مرزوق: أدب الثورة ١٩١٩ , القاهرة , رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية , دار العلوم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب جامعة القاهرة، ١٩٧٠ ، ص ١

العدل والمساواة، ولا شك أن قضية فلسطين هي القضية التي أدخلت المسلمين في صراع ومواجهةٍ قاسية فد تضافرت فيه قوى الشر الصهيوني لاغتصاب فلسطين ولإضعاف الشعوب وتمزق وحدتهم، وذلك للتسلط على ثرواتهم المادية والمعنوية، فهو تآمر لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية

ومن هذا المنطلق كان لروّاد المقاومة في مجال الأدب موقفاً إيجابيا، من حيث آلاف القصائد ومئات الدواوين وعشرات من الكتب التي تواكب هذه المأساة وتحكي غربة هذا الشعب، ولهفته، وحماسته فعبروا عن ولائهم لقضيتهم إلى أن تسترجع الأرض إلى أهلها، ويتجلّى موقف شاعرنا عبد الستار سليم في هذه الأحداث؛ فهو ضد الظلم بشتّى أنواعه، كاحتلال الأرض ونهب خيراتها وتقييد حرياتها، فالكلمة تعيد بعث الروح من جديد من خلال إقناع الناس بهدفها وهي لسان معبّر عن إرادة الشعوب لتحقيق الأهداف الإنسانية الراقية.

والشاعر عبد الستار سليم كشاعر يجيد فنون القول خاصة في هذا المضمار مضمار المقاومة بالكلمة.

فالأدب هو في ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف، والخور التي تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار ....فليس هناك عمل أدبي جاء في القديم والحديث , يمكنه أن يخلو من هذه السمة
البارزة وهي المقاومة[٣]

والمقاومة في التاريخ العربي والثقافة العربية لها جذور عميقة، فتتخذ أشكالا من التعبير بالرفض للاحتلال، منها المقاومة بالسلاح والمقاومة بالسجن، والمقاومة بالكلمة شعراً ونثراً، فكلُّ شكلٍ يعبِّر في جوهره عن الرفض.

ويستعرض البحثُ التناص في ثقافة المقاومة عند الشاعر عبد الستار سليم الذي يمثّل علما مصريا بارزا في الأشكال الشِّعرية لاسيّما شعر الفصحى وشعر العاميّة والموال، وفنّ الواو الذي ابتكره ابن عروس وأحياه بعد زمن شاعرنا الرائع، وشعر عبد الستار سليم لا يبتعد عن مشاعر الأمَّة تجاه الواقع المعاش الذي أصبح الشعر فيه مقاومة بالكلمة وصوتا مدويّا ينادي بالحريّة والعدالة والمساواة في الحياة الكريمة بين جميع البشر، ويبشر بالوصول إلى الغاية وإن طال الأمد. وستكون الدراسة في ديوانه " إلى وجه فلسطيني"

وستتناول الدراسة دراسة التّناص في ضوء أدب المقاومة عند عبد الستار سليم

*** الجانب النظري**

١- دراسة التناص تعريفه وآراء النقاد عنه

٢- أنماط التناص

*** الجانب التطبيقي في ديوان:" إلى وجه فلسطيني" للشاعر عبد الستار سليم**

*** التناص، تعريفه وآراء النقّاد عنه**

التناص هو دخول في علاقة نص حاضر بآخر غائب بكيفيات مختلفة، أو كما يطلق عليه النّقاد تعالق النصوص، أو هو نص جديد قائم على بعض أثر أو رائحة من نصٍّ قديم، فالفكرة تتوارد والمعاني تتقارب أو يُعكس ظلالها وهذا لا ينفي ميزة واستقلالية النّص

[٣] عبد العزيز شرف : المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر, دار الجيل بيروت, دون طبعة , دون توزيع , ص ٢

وفي الشعر العربي يقول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردَّم؟ أم هل عرفت الدار بعد توهّم؟[٤]

ويقول امرؤ القيس:

عُوجَا على الطلل الْمُحِيلِ لعلَّنا ... نبكي الدِّيار كما بكى ابنُ خِذام[٥]

وعند كعب بن زهير:

ما أرانا نقول إلا رجيعا ومعادا من لفظنا مكرورا[٦]

"لقد قام مفهوم التناص على محاولة دراسة النَّص الأدبي في ضوء علاقته بنصوصٍ سابقةٍ باعتبار أنَّ تلك العلاقة إنّما هي ضرب من تقاطع أو تعديل متبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة لتأخذ مكانها في بنية نصية جديدة، ومن ثم يمكن القول أنَّ كلَّ نصٍّ إنما هو تسرب وتحويل الجملة من النصوص السابقة. وقد أخذ التناص في الدراسات النقدية الحديثة منحى إيجابيا بعد أن تخلص من تلك النظرة ذات الطابع الأخلاقي التي رافقته في العصور القديمة تلك النظرة التي وصمته بأنّه ضرب من السرقة[٧]

ويقوم التناص على علاقة تربط بين المبدع والمتلقي فتثير ذهنه وتحيله إلى مؤثرات خارجية تقوّي علاقته بالنص.

"وهو يمثل ضربا من آلية لغوية مشتركة بين الكاتب والقارئ قادرة على تقديم التأويل أو التفسير أو هي نوع من آلية تفاهم سرّي بينهما لاستيعاب النص، أو هي التسويغ الذي يقدمه الكاتب للقارئ ليكون النص مقنعا أو مقبولا"[٨]

وماهية النَّص كما عرفه بارت: بأنّه نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله[٩]"

أمّا التناص عند كريستيفا هو: تفاعل نصي يحدث داخل نص واحد، ويمكن من التقاط مختلف المقاطع أو القوانين لبنية نصية بعينها باعتبارها مقاطع او قوانين محولة من نصوص أخرى[١٠]

إذن يمكن أن يعرف التناص على أنّه مجموعة من النّصوص التي تتداخل في نص معطى[١١]

ويشير أحمد الزُّعبي إلى التَّناص بأنّه " اندماج الاقتباس أو التضمين، أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك

---

[٤] ديوان عنترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي، رسالة ماجيستير، آداب القاهرة، ١٩٦٤ص١٩٢

[٥] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ، ص١١٤

[٦] ديوان كعب بن زهير، شرح ودراسة د. مفيد قميحة، دار الشواف، الرياض، السعودية، ١٩٨٩ص٦٦

[٧] التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، دار كنوز، عمان، الأردن الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩، ص٨

[٨] المرجع السابق ص١١

[٩] بارت من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة عبد السلام بنعبد الله ، مجلة الفكر العربي المعاصر - عدد ٣٨ آذار ١٩٨٦ - بيروت ص١١٥

[١٠] مارك دوبيازي - نظرية التناصية ترجمة الرحوني عبد الرحيم ، مجلة علامات ، ج ٢١ م ٦ - ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م ص ٣١٠

[١١] . التناص بين التراث والمعاصرة د. نور الدين لوشن، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٥ ع٢٦، صفر ١٤٢٤هـ، ص ١٠٢٠

من المقروء الثقافي للأديب مع النص الأصلي له فيتشكلّ نص جديد واحد متكامل [١٢]

التناص، في أبسط صوره، يعنى أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل.

والتناص في حقيقته هو مجموعة من آليات الإنتاج الكتابي لنص ما، تحدث بصورة واعية أو لا واعية متفاعلة مع نصوص سابقة عليه[١٣]

وهذا التناص الذي نراه في الشعر إنما هو توارد خواطر و ظلالاتُ معانٍ لا يوصف من يتداخل نصه مع نصوص أخر بالسرقة، ونفى الجرجاني أن يتّهم أحدٌ بها فقال: "متى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ونظم بيتا يحسبه فرداً مخترعاً ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثالاً يغض من حسنه ، ولهذا السبب أحظر على نفسي وعلى غيري بث الحكم على شاعر بالسرقة"[١٤]

وعند ضياء الدين ابن الأثير في المثل السائر:"

واعلم أنّ علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا، وكنت ألفت فيها كتابا، وقسمته ثلاثة

*** أقسام: نسخا، وسلخا، ومسخا**

أما النَّسخ فهو: أخذ اللفظ والمعنى برمته، من غير زيادة عليه، مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب.

وأما السَّلخ هو: أخذ بعض المعنى، مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ.

وأما المسخ فهو: إحالة المعنى إلى ما دونه.

وهناك قسمان فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه، والآخر عكس المعنى إلى ضده، وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ[١٥]

وعن السرقات يقول ابن رشيق:" هذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل[١٦]

*** أنماط التناص**

يتشكّل التناص بين التناص الديني، والأدبي والتاريخي والأسطوري، وينقسم إلى: –

---

[١٢] التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص١٠

[١٣] ماهية التناص، عبد الجبار الأسدي، مجلة الرافد، الشارقة، عدد٣١، مارس، ٢٠٠٠، ص١٥

[١٤] الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)
تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج١ ص٢١٥

[١٥] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ج٣ ص٢٢٢

[١٦] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ ج٢ ص٢٨٠

١- تناص مباشر حين يقتبس النص بلغته التي ورد فيها مثل الآيات والأحاديث والقصص

٢- تناص غير مباشر وهو تناصٌ يُستنتج استنتاجا ويستنبط استنباطا من النص، وهو تناص الأفكار والرؤى أو الثقافة، تناصا روحيا لا حرفيا، فالنص يفهم من خلال تلميحاته[١٧]

وفي تفسير آخر للتناص المباشر وغير المباشر

١- التناص المباشر: ويسمى بتناص التجلّي، وهو حوار تجلّى في توالد النص وتناسله وتناقش فيه الكلمات والمحاور والجمل فهو إعادة إنتاج سابق في حدود من الحرية.

٢- التناص غير المباشر: وهو التناص اللاشعوري، أو تناص الخفاء ويتطلب من الباحث ثقافة واسعة في معرفة التناص، ويندرج تحته التلميح والرمز والتلويح والإيماء والإشارة.[١٨]

*** الدراسة التطبيقية**

**أولاً: التناص الديني**

ويقصد بالتناص الديني " تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النص الأصلي للقصيدة بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري وتؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما معا[١٩]

ذلك أنّ لاستدعاء النصوص الدينية أثرا بالغا في توجيه الدلالات الشعرية، وتكثيفها بحيث يعمدُ الشّاعرُ إلى تطعيم نصوصِه الشعريةِ بهذه النّصوص المقدسة؛ لإعطاء الدلالة بعدا تفضيليا من حيث قوتها ومصداقيتها، فالشاعر يوظف التّناص ليثري النّصّ فكريا وفنيا، وقد أفاد عبد الستار سليم من القرآن الكريم كثيرا واستحضر آياته وألفاظه وتراكيبه وصوره

ووظفها توظيفا دقيقاً في شعره، يهدف من ذلك إحداث الأثر البالغ عند المتلقي، بعضها تأتي مباشرة، وبعضها الآخر يعتمد الإيحاء والإشارة

*** تناص ديني مباشر**

١- القرآن الكريم

في قصيدة "ماذا قالت للقوم سناء" وهي تحكي عن الشهيدة" سناء محيدلي" فتاة فلسطينية، كانت أولَ فتاةٍ فدائيّةٍ قامت بتفجير نفسها في تجمعٍ لآليات جيش الاحتلال الإسرائيلي، واستشهادها نظمت فيه القصائد وتغنّى به الفنّانون، وهي تصور مشهدا من مشاهد المقاومة وأثره في النفس وتأثيره على العدوّ

يقول شاعرنا ص ٥٧"تبقى الكلمات معلّقة بفراغ البيت

ويظل على شجر الزّيتون يضيء الزيت

وتظل سناء على الدّرب الجبلي

تغازل في فرح قمر الأغوار

مسبحة الشيخ الزهراني تطقطق في قلق عاثر

والشيخ يتمتم في همس آيات من سورة فاطر

ويتابع آخر ما في النشرة من أنباء..

هذا السرد والوصف الآنيّ زمانا ومكانا بما يتضمنه من صورة استعارية وتتابع الأفعال ورسم المشهد، وتأتي

[١٧] التناص نظريا وتطبيقيا ص١١

[١٨] التناص ماهيته وأنماطه ص٦٣

[١٩] ظاهرة التناص في الشوقيات مهند عباس علي، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد، آب ٢٠١١ ، ص٥٣

الدراما لتكمل بداية النَّص، فيربط الحاضر بالماضي في صورة حسيّة ملهمة للبطولة

وسناء مجنحةٌ تنطلق كريحٍ

وتنقر إيقاع الدبكة فوق المِقود

وتدير جهاز السيارة تأتي موسيقى صاخبة

تتذكر عرس فدائيٍّ شاعر (قتلوه...)

كانت تستعذب أشعاره

مطر شتوي يسّاقط

جسد صيفي يسّاقط

ما بين الصحو وبين السكر

انفجر القوم

بهول الزلزلة الكبرى

الأرض اهتزت داخلهم مادت وهوت

جعلت عاليَهم سافلَهم

والأرض الثائرة "اهتزت وربت"

تحكي لنا القصيدة بالدراما والمشهديّة المكتملة كيف فكّرت سناء وكيف سارت بسيارتها المفخخة وكيف فاجأت العدو

نلاحظ التناص المباشر" اهتزّت وربت" وهي جزء آية من سورة الحج لتبيّن أثر الفرحة في القلوب والصدور الظمأى للنّصر بعد عملية التفجير

كما نجد التناص غير المباشر في

ويظل على شجر الزيتون يضيء الزيت وهو يلمح بجمال النور المنبثق من أشجار الزيتون ويلمّح بالآية القرآنية " يوقد من شجرة مباركة زيتونة"

ونجد الشيخ يتمتم في همس آيات من سورة فاطر يستدعي لنا مدلول اللفظة من قوله تعالى: "فاطر السماوات والأرض" وهنا يلمّح الشاعر لنا بأن الأرض لله وأنّ الدفاع عن الأرض والعرض والحمى من المسلّمات الإنسانية

ونلاحظ الفارق بين "الأرض اهتزت داخلهم مادت وهوت

جعلت عاليهم سافلهم" وكأنّ الأرض تقاتل مع سناء فاهتزت وأدخلت الرُّعب فيهم

وبين "اهتزت وربت" التي تبين سعادة الأرض وخصوبتها واخضرارها بعد عملية التفجير.

وكيف صوَّر الشاعرُ عمليةَ التفجير وتناثر الأشلاء، فصور جسد سناء مشحونا بحرارة الانتقام بينما القوم بين الصحو وبين السُّكر فيأتي عنصر المفاجأة "انفجر القوم"

فتفرح السماء ويترل مطر الشتاء الذي يهلّ بشارات للخير والنماء

مطر شتوي يسّاقط

جسد صيفي يسّاقط

ما بين الصحو وبين السكر

انفجر القوم

بهول الزلزلة الكبرى.

ومن التناص المباشر

في قصيدة" رحيل قلب اكتظّ بالوطن" ص١١٧

يقول مقولة الشهيد ياسر عرفات:" أيا جبل..ما تهزك ريح" بهذه الاستعارة التمثيلية التي تصور اليهود بريح

وتصور صمود الفلسطينيين بالجبل، فهل تستطيع الريح أن تهزّ الجبل أو أن تثني أصحاب الأرض عن المقاومة؟!

ويكمل: يطول بك الحزن أولا يطول

ستولد فيك الفوارس

فوق الخيول

يعيدون للأرض أثقالها

إذا ما استحرّ الوطيس

وزلزلت الأرض زلزالها

بهذا المجاز المرسل سيّان عنده طال" وقت" الحزن أم قصر، ستولد الفوارس فوق الخيول فالطفل الفلسطينيّ يولد ثائراً على أعداء الإنسانية، يأتي يوم النصر؛ وتأتي الاستعارة التصريحية فيعيد للأرض أثقالها أي: أصحابها الحقيقيون، يوم يستحر الوطيس وتشتد المعارك وتزلزل الأرض من تحت أقدام اليهود.

ونلاحظ التناص غير المباشر من القرآن:

حين يتكلّم عن مقاومة أخرى هي مقاومة السجن، "الأنا" هي مركز الميكانيزمات النفسية فهو يعمل بين منطقتي " الهو" أي الرغبات و الأنا الأعلى أي الضمير، فالأنا يقوم بضبط الغرائز في الهو بما يتلاءم مع الواقع، وهو من جانب آخر يمارس عمله تحت رقابة الأنا الأعلى، ومن أجل التوفيق بين هذين السيدين يقوم الأنا بالميكانيزم الدفاعي بمعنى أن الأنا الذي يحاول إشباع رغبات الهو تحت رقابة الأنا الأعلى يسعى إلى حماية نفسه بالتوافق النفسي الذي يخلصه من حالة التوتر والقلق التي تنتج عن الإحباطات النفسية والصراعات التي تهدد أمنه النفسي[٢٠]

فالأسير لا يشعر بالنقص أو العجز في مواجهة هذا الموقف، بل تمثل هذه الميكانيزمات الدفاعية محاولة للارتفاع إلى المستوى الذي وضعه لنفسه أو الذي فُرض عليه، فلا يزيده الأسر إلا صلابة، فالأسر رحلة تفرّد يعدّ فيها عدّته ويهيئ فيها نفسه للثأر من أعداء وطنه،إنّها الوحدة التي يستشعرها السجين بأقصى درجاتها، فالوحدة تدفع الخيال إلى العمل، فينفصل السجين عن عالمه القاسي، عالم الوحدة القاتلة، إلى عالم آخر يتحقق له فيه الفرح والأمن والطمأنينة وشاعرنا في قصيدته" سجّان وزنزانة" ص ٧٦ يتحدّث عن مقاومة الأسير حتى بالنظرة إلى السجّان وهمسه إلى نفسه وتمتمته تنقلب في رأي السجّان إلى مؤامرة يدبّرها له، فنجد المفارقة في رعب حارس السجن، وليس الأسير، ولننظر إلى الصور المجازية: التشبيه البليغ في" عيني سيّاف يرهبه" فعيناه سيّاف يدخل في قلبه الفزع! هذا الرعب عندما يصيبه ينظر إليه نظرة خوف واستعطاف وحنوّ كنظرة قسيس يرتدي ثوب المسيح، فما أضعفه على الرغم مما يملك من مقومات القوّة لأنّها قوة زائفة، ويتعدى خياله ميكانيزماته الدفاعية أو يتضافر الخيال معه فيلبس جدار السجن وبابه وقفله مشاعر إنسانية يدركون الحقيقة ويقفون حائط صدّ عنه، وليس كما يتخيلهما السجّان!

يقول:

عيني سيّاف يرهبه

[٢٠] أساسيات في علم النفس، د. جنان سعيد الرحو، مطبعة الدار العربية للعلوم ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٣٥٠

إن حدّق في عيني
ترتدّ هواءً نعرتُه الهوجا
وأظنُ الرُّعبَ يبدّله قسيس النظرة
في أثواب مسيح
ما أضعف ذيّاك السجانَ وأقواني!
سجّاني جنديٌّ أجوف
رغم الغطرسة ورغم الصوت المتعجرف
مهما ثوب الجنديّة قد زانه
لكني ألمح داخله شريرا يمضغ أحزانه
يزجيه على قهري في السجن اثنان
أقفال حديد الباب
وقوة أسمنت الجدران

ويستحضر لنا سيدنا يوسف عندما كان سجينا فهو يقوم على خدمة رفقائه في السجن فيقضي حوائجهم ويداوي مريضهم

ظنّ السَّجَّان الواهم أنَّ الغرفةَ زنزانة
الغرفة كانت يا هذا
كانت وستبقى إنسانة. ص٧٩

ويبحث عن سرّ هذا الفزع الذي يسيطر على السجان

فيقول:

"هل لمح الضفةّ في إحدى عينيّ وشاهد في الأخرى " غزّة"؟

فالأسير مؤمنٌ بقضيّته يؤكد على إثبات هويّته وحبّه لوطنه فمن يستقرئ عينيه ويتأمّل يلاحظ هذه المحبّة متجسدة متماهية بين قلبه وعينيه في خارطة الوطن: الضِّفَّة وغزّة.

*** التناص غير المباشر من السنة النبويّة**

المقاومة تحتاج إلى وحدة الصف والهدف، وتستدعي تآلف القلوب واجتماع الكلمة، لكنّ شاعرنا يرى أنّ من أمتنا من ينشغل بتوافه الأمور عن هذا الهدف: فيشغله ثوبُ الإحرام هل يكون مخيطا أو غير مخيط؟!، ويلهيه ظاهر الشعائر كتقصير الثوب والسِّواك عما يدبره له أعداؤه، فنراه في صورة مجازيّة يناجي وطنه أن يدرك أبناءه ويعيد روابطهم ويقوي علاقاتهم، ليسدوا الخلل بين صفوفهم من المحيط إلى الخليج

يدرك ما اعتراهم من شقاق وخلاف، يدرك ما وصل إليه حالهم وانشغالهم عن جمع كلمتهم ومقاومة عدوّهم، وهنا ندرك الفارق بين مشغول بظاهر الدين وآخر مشغول بجوهره وذروة سنامه وهو الجهاد ومقاومة العدوّ، ونستحضر أبياتا لعبد الله بن المبارك

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنّك بالعبادة تلعب من كان يخضب خدّه بدموعه.. فنحورنا بدمائنا تتخضب[٢١]

يقول شاعرنا في نص" نيرون يبعث من جديد" ص٥٤

يا وطن
أدرك عُرانا
فالعُرى تنداح ما بين خليج ومحيط

[٢١] ديوان عبد الله بن المبارك، جمع وتحقيق د. مصطفى بهجت، مجلة البيان، ١٤٣٢هـ، ص٦٦

يا وطن
أدرك رؤانا
فالرؤى ليست رداء نتمارى
حول جدواه مخيطا كان أو غير مخيط.

ويقول في موضع آخر وهو ينادي القادة والزعماء بوصفهم شيوخ القبائل وأصحاب الكلمة: ليس ثمّة صدى من أفعال اليهود وانتهاكاتهم غير الذي عبّر عنه بشيء من السخرية فاستعار لفظة اللطم التي لم يجدوا غيرها للتعبير عمّا يرونه! علاوة على الكناية وحسن التقسيم وجمال القافية التي تسبح في البحر المتقارب، وهو يصور أمسياتهم التي تضج بالشجب والتنديد والدعاء على اليهود بالويل والثبور متعوِّذين من أفعالهم بالجنّ، وهم يمسكون بأكفّهم عود الأراك الذي يتسوكون به عملا بالسنّة النبويّة!

يقول من قصيدة" أين جيادكم التغلبية؟!": ص١٠٧

شيوخ القبائل
أراكم وقوفا بغير حراك
كأنّ الذي تمّ
لا يستحق سوى اللطم
والندب في الأمسيات
وهزّ الأكفّ بعود الأراك

٢- التناص من الإنجيل والتوراة

واستشهد الشاعر بهما ليبين جرائم العدو وانتهاكاته وكيف يكون جزاؤه في الكتب المقدسة وهم يبنون إجرامهم على تعاليم كتبهم المقدسة،

"فالصهيونيون لا يريدون أن يكون الإله إلا لهم وحدهم! زد على ذلك: أن التلمود ينص على أن جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان، خلقوا عبيداً لهم. هم متحدرون من الله كما يتحدر الابن من أبيه وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة، و لم يعطوا صورة الإنسانية إلا إكراماً لأبناء إسرائيل. على هذا المنوال تعاليم هذا الكتاب الموبوء، وقد اتخذ له مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة"[٢٢]

يقول التلمود إن الأمميين -ويقصد بهم الأغيار خلا اليهود- هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار[٢٣]

يقول الشاعر من قصيدة" قالت التوراة وقال التلمود" ص٨١

قال التلمود بمفتتح الإصحاح:
يا شعب الله..
مِبراتك فاحمل...واستسفح أوردة الخلق"
قال التلمود بمختتم الإصحاح:
لحم الأيام مباح
اقتل اسرق احرق يا شعب الله

فالشاعر يستدعي لنا هذه النصوص ليتهكّم من التلمود وتعاليمه في مفتتحه ومختتمه؛ لأنّه كتابهم المقدس الذي يبيح لهم كلّ شيء فيقتلون ويحرقون ويدمرون، وبين الشيء ونقيضه يأتي بكلمات من الإنجيل تؤيد حقّه في المقاومة

[٢٢] همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص١١

[٢٣] المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، ص٢٣

"الحقّ أقول لكم" فكأنه يناديهم ليستمعوا وينصتوا
فيبشرهم بنهايتهم جرّاء أفعالهم القبيحة
من تحت هزيم الرعد ولمع البرق
وصوت تصاريف الجلاد
يزداد عنادا رحم الأم
ويظل دفيئا هذا الدم

فهو يرسم لوحتين متقابلتين: لوحة تهيمن عليها الاستعارة التصريحية، فإجرامهم وشلالات نيرانهم وقسوة جلادهم على شعب برئ مستعمر، وهناك لوحة أخرى موازية تلوح وراءها الاستعارة المكنيّة والكناية التي تصور عناد رحم الأم، وشوق الأجنّة في بطون أمهاتهم يستعجلون الخروج للانتقام منهم.

الحق أقول لكم
إن غيض النبض
وراحت مزق اللحم الطفلي
الرعشات تستاف تراب الأرض
سيجيئ الوقت
يتفجّر من أعلى أنهار الصمت
وتفيض بحيرات الصحراء
كي تغسل أودية لزجة من فرط الزيت.
وهنا يستمر في كلمة الحق الموجهة لهم

مهما فعلتم من قتل وأدخلتم من رعب وانتهكتم من حرمات، فانتظروا نهايتكم، مهما طال الزمن، سيهلّ بوقته الثمين الذي يتفجّر في وجوهكم، وتفيض الصحراء ببحيراتها فتذهب الزبد جفاء، وستجتمع عليكم فيذيبونكم كما يذاب الجليد تحت حرارة الشمس وتزيل هذا الدرن الذي طغى وبغى، فنرى هذه الصورة المركبّة والأفعال المضارعة التي تفيد استمرار المقاومة حتى تحقيق النصر.

*** التّناصُّ الأدبيّ**

يعد التناص الأدبي من أهم التناصات التي استند إليها شاعرنا عبد الستار سليم في شعره.

ويحدث هذا النّوع من التناصات مع الموروث الأدبي المتمثل بالشعر، والأمثال، والحكم العربية القديمة، وعندما يحصل التفاعل مع هذه النصوص تعطي العبارات معانيَ زاخرةً بالدِّلالات.

لم يكن شاعرنا عبد الستار سليم منقطعاً عمّن سبقوه من الشعراء، بل جاء منفتحاً على شعر غيره؛ لذا عمد إلى التناص الأدبي في شعره مع أبيات شعرية من الموروث.

*** الشعر**

يلوم أهل وطنه مستعملا المجاز المرسل مستنهضا همهم؛ لأنّهم صورة الوطن الذي يتأسّف على حال أبنائه لو كنت صادق العزم ما تخاذلت؛ هل حشدت قواتك ضدّهم، فالسيوف في غمدها لم تشهر، والخيول ترى في مواكب التزّه، لم تحم مكانا، أو تكفّ جبانا قتل الآباء والأمهات وأذاق الأطفال مرارة اليتم، ويتذكر بيتا شعريا لحافظ إبراهيم وكأنّه يقول له لا تأتِ بعللٍ واهيةٍ فلو صدق عزمك ما تخاذلت لتلصق التقصير في السيف! فأجرى بعض التحوير على بيت حافظ إبراهيم القائل:

لا تلم كفي إذا السَّيفُ نبا صح منِّي العزمُ والدَّهرُ أبى
أنا لولا أن لي من أمتي خاذلا ما بتُّ أشكو النوَبَا

أمّة قد فتّ في ساعدها بغضُها الأهلَ وحبّ الغرَبَا

وهي والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطرَبَا! [٢٤]

يقول شاعرنا عبد الستار سليم:

يا وطن

لا تقلْ لي

"صحَّ منّي العزمُ والسَّيفُ نبا" ص٥٢

أنت لم تعزم

و لم تستلّ سيفا من جراب

أنت لم تركب إلى الهيجا حصانا

أنت لم تحرس مكانا

أنت لم تحشد إلى الزحف زمانا

أنت لم تردع جبانا

حرم الأطفال أمّاً وأبا. ص٥٢

ونلاحظ التكرار في ضمير المخاطب ليؤكد عليه اللوم والعتاب ويبين مدى الحسرة التي يعانيها الشاعر ورغبته في استنهاضِ الهممِ للدِّفاع عن الأرض والعرض.

*** الأمثال**

وفي صرخته المدوّية للوطن وعتابه المرّ

يستحضر مثلا عربيّا:" بلغ السيل الزبا" ليؤكد مدى انتهاكات اليهود ومدى الصمت والتخاذل تجاه أفعالهم حتى تجاوز الحدّ

" بلغ السيل الزُّبا"

مثل عربي: بلغ السيل الزبا مثل يضرب لما جاوز الحد[٢٥]

يقول شاعرنا من قصيدة" نيرون يبعث من جديد": ص٥١

يا وطن

طفح الكيلُ

ودمّى جرحنا الويلُ

وحمى حولنا تُّورَه الليلُ

ومازلنا على ما صار فينا نتفرّج

نتخفّى من سياط الصمت بالدور الخجولة

كرجالٍ سُلِبت منها الرجولة

وتقاعسنا فلا نحن أمرنا الريح

تجري في صحاريك رخاء

ولا نحن أمرنا كفّنا أن تضربا

وتركنا السيل حتّى بلغ السيل الزُّبا.

فالشاعر يستقرئ الأحداث ويرى انتهاكات العدو فيستخدم الاستعارة المكنية وينادي وطنه ألا ترى ما تفعله اليهود في ديارنا من انتهاكات؟ قتل، وتدمير، وحرق، والكناية في "وحمى حولنا تنوره الليل" فالنَّار تشعل ظلام الليل، ومازلنا نشاهد وننادي ولا مجيب، والاستعارة المكنية في ديارنا التي تخجل من أفعالنا وتتعجب من أصحابها الذين يدّعون الشهامة وهم يتخفون داخلها! وقد سلبت منّهم الرجولة، تقاعسنا حيارى لا ندري ماذا نفعل! فتجاوز اليهود في

---

[٢٤] ديوان حافظ إبراهيم، جمع وتحقيق أحمد أمين وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ ص٣٢١

[٢٥] مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، ج١ ص٩١

الزّبا: جمع زُبْيَة. وهي حُفْرة تُحْفَر للأسد إذا أرادوا صَيْده، وأصلُها الرابية لا يَعْلُوها الماء، فإذا بلغها السيلُ كان جارفا مُجْحفاً. يضرب لما جاوز

الإجرام وتجاوزنا حدود الصمت، وقد بلغ السيلُ الزبا، وهو تأكّيد على ما بدأه بقوله:" طفح الكيل" ليواصل بثّه أسباب حزنه وآلامه.

*** الموروث الشعبي**

التراث الشعبي يضم الممارسات الشعبية السلوكية يضم الفولكلور، والمثيولوجيا العربية، كما يضمُّ الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي ، أو العطاء الجمعي لأدباء الشعب العربي في مسيرته الحضارية من قديم وإلى اليوم [٢٦]

يقول المسعودى في الجزء الثاني من مروج الذهب:

"تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم إلى التكهُّن ، وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادَّعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة، وعلى ما تريد أن يكون منها. ، وصنف منهم ادَّعى أن الأرواح المنفردة – وهي الجن – تخبرهم بالأشياء قبل كونها، وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة ...فالصنفان معا يرتبطان بالديانة القديمة ، وبخدمة الهيكل الطقسى داخل المعبد، فالكاهن في كل الأحوال هو رجل الدين العارف بأسرار الديانة والقادر على الاتصال بروح الله سواء عن طريق الشفافية المطلقة ، أو عن طريق أعوانه من الجن والشياطين .. وأضاف المسعودي "ذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه، وأنّ الشياطين تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهَّان فيؤدون إلى النَّاس الأخبار[٢٧]

وهكذا الشاعر عبد الستار سليم يرى الحقيقة ظاهرة للعيان ويرى التَّقدم الذي يحرزه العالم علميّا وثقافيا وعسكريّا بينما يرى أمّته العربيةَ متفرقة، قابعةً تدور في فلك الجهالة؛ بينما جرائم المستعمر تحتاج إلى وقفة قوية في وجهه، لكنَّه للأسف يرى التخاذل في أمته؛ فمنهم من يتعلل بقراءة الطالع مخافة الهزيمة، ومنهم من يلجأ إلى مزاعم مصاحبة الجنّ ويخوفون النّاس من شروره مستجيرين بالأحجبة، ومنهم من يحيل ذلك إلى القدر وأحداث الدهر!

يقول من قصيدة" صلاة لحبّك" ص١٢

وصِرنا نحيك سراويلَنا بخيوط التفكّك
وكلّ مواويلنا يعتريها التوعُك
ونمضغ صمغ الكلام
ونفخر في ساحة العلم
بالقارئات الكفوف
وبالنّجم والأحجبة!

بهذه الصور الكلاميّة السمجة والعقلية الساذجة من الاعتقاد بقراءة الكفّ والطالع والسحر، فكيف يأتي النصر؟!

*** التناص الأسطوري**

يستلهم الشاعر الأسطورة لمغزى معين، حينما يجد لها بعدا نفسيّا خاصا في واقع تجربته الشعورية[٢٨]

[٢٦] الموروث الشعبي فاروق خورشيد، دار الشروق،الطبعة الأولى،١٩٩٢، ص١٢

[٢٧] مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي ت٣٤٦هـ، منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٨٨م، ج٢ص٧١

[٢٨] الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ( د.ت)، ص٢٠٢

والشعر العربي، وليد الحضارة العربية العريقة الجذور، والتي خضعت للتأثر بالمناخ الحضاري للمنطقة التي نمت فيها مجموعة مختلفة من الحضارات. كحضارة بابل وآشور وفينيقيا وفلسطين واليمن ومصر القديمة

واليونان – فهو يجني الكثير من التجارب الانسانية لكل هذه الحضارات، ويمتدُّ بجذوره إلى أعماقها. ويومئ على نحو رهيف وخفي إلى أساطيرها[٢٩]

إنَّ الشاعر والأديب قد يتنفس بالأسطورة من همومه وكروبه، ويعبر بها من ويلات العصر الجاثم على صدور الناس، و تظهر الاسطورة عند غياب الحقيقة، و الأديب الأريب يرى دائما أنَّ بجسِّمَ و بجسدَ الاضطهادَ و انعدامَ الأمنِ بشعره الأسطوري[٣٠]

ويعرف التناص الأسطوري بأنه: "استحضار الشاعر بعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياقات القصيدة لتعميق رؤيته المعاصرة يراها الشاعر في قضية يطرحها"[٣١]

وقد وظّف الشاعر عبد الستار سليم الأسطورة في قصيدة " قالت التوراة وقال التلمود" ص٨٢

الليل يجيء
والغول يجئ
الغول الرابض في الأنواء
الغول القابع في قصص الجدّات
يتبعثر في أفكار الصبية كل مساء
يتربّص — فوق التلّ– بوقت النوم
يتحسس لحم القوم

بهذه الاستعارة التصريحية يلفت الانتباه إلى ما يدبّره و ينويه العدو، فالاحتلال ليلٌ والعدوُ غولٌ يتربّص بهم؛ يريد في غفلة القوم عن قضيتهم وأرضهم أن ينقض على البقية الباقية من لحومهم! ونلاحظ التكرار ومدى ما يضيفه من تدفق شعوري للمتلقي، يتكرر الفعل يجئ ويتكرر الاسم الغول، وتتوالى الأفعال يتبعثر، يتربّص، يتحسس؛ ليرسم بريشته المشهد الحالي والمتوقّع وينبّه الغافلين بخطورة ما يُحاك لهم؛ ليدفعوا عن أنفسهم وطنهم هذا الغول الذي ينشر الخوف ويبث الرّعب. فنلاحظ كيف وظّف شاعرنا الأسطورة

فهو لم يأت بها ليقحمها في النص إقحاماً دون حاجة القصيدة إليها، تقليداً أو عرضاً لسعة الثقافة لدى الشاعر، بقدر ما يعني عملية تفجير طاقات وتوليد معان جديدة في النّص الغائب الذي لم توجد فيه المعاني من قبل.

*** التّناص التّاريخي**

التناصُّ التاريخيُّ استلهام نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة واستثمارها مع النص الجديد، يبدو فيه الانسجام وتطابق الرؤى لدى الشاعر مع الحديث الذي يرصده ويسرده ويؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً[٣٢]، ونماذج التناص من النصوص التاريخية التي نراها في ديوان إلى وجه فلسطيني" نقرأ دفقات من الحزن والحسرة من قصيدة" لماذا يا صلاح الدين" ص ١٧

[٢٩] الأسطورة في الشعر العربي الحديث، د. أنس داوود، مكتبة عين شمس،( د.ت)، ص١٢
[٣٠] الأسطورة عند شعراء مصر المعاصرين، عدنان طهما سبي، مجلة اللغة العربية، السنة الأولى، العدد٢، ٢٠٠٥م، ص٣
[٣١] التناص نظريا وتطبيقيا، ص١١٧
[٣٢] التناص نظريا وتطبيقيا، ص ٢٩

في ديالوج مع نفسه يتذكر صلاح الدين وانتصاراته ويقارن ما وصل به حالنا المعاصرة فهو لم يوجه لومه وأسئلته إلى صلاح الدين وإنما لأحفاده المتخاذلين الذين نسوا بطولات أجدادهم.

يستحضر صورة البطل صلاح الدين الأيوبي؛ لأنّه هنا على أرض فلسطين كان بطل موقعة حطين التي حررت القدس من أيد الصليبيين، قال عنه أحد المؤرخين والذي أدهش المسيحيين من أمر صلاح الدين هو مروءته وشهامته وكرمه ورحمته ومحافظته على العهود[٣٣]

يذكرنا بمقومات الانتصار التي سعى صلاح الدين الأيوبي إليها وهي الوحدة العربية والتي تتمثل في وحدة الكلمة والصف والهدف، فسعى إلى إسقاط الخلافة الفاطمية التي أدت إلى إشعال التشرذم السياسي والمذهبي بين المسلمين، لتتم مواجهة الوجود الصليبي الدخيل[٣٤]

وهكذا صار الكيان الصليبي في بلاد الشام محاطا بكيان إسلامي ينصاع لأوامر رجل واحد، ومن قبل فكرة جهادية توحده[٣٥] .

يقول الشاعر مستقرئا الأحداث وهو يربط الماضي المجيد بالحاضر المُبكي، مستحضرا صورة البطل صلاح الدين، يحكي له المأساة التي يعيشها المسلمون بعده فقد انغمسوا في أهوائهم؛ هجروا الحصون فلا حصون، وذبحوا الخيول فلا خيول، ورهنوا دروعهم فلا دروع، فليس لهم حول ولا طول!

ويتكرر الاستفهام والعتاب، فلمّا ترك أحفاده فريضة الجهاد أُذلوا على أيدي أعدائهم، فقد نسوا أمجاد أجدادهم في حطّين وتاريخهم العريق وانتصاراتهم الساحقة!

فلم يبق شيءٌ عندهم من النخوة، تذكرهم بها حتى بعض الثرى ونفحات الانتصار!

لماذا يا صلاح الدين؟
ألم تعلم بما آلت إليه الناس
فقد هجروا حصونَهمو
وقد ذبحوا خيولَهمو
وقد رهنوا دروعَهمو
وأطفأ نارَهم ناديهُمُو
وتفرّق الجلاس
فلا حول ولاطول
ولا سور
ولا حرّاس
لماذا يا صلاح الدين
لم تترك لنا سيفك
لماذا يا صلاح الدين لم تبعث لنا في مرّة سيفك
وبعضا من ثرى حطين؟ ص٢٠
ذهبت بهالة الأمجاد
فلم تترك لنا شيئا من النخوة
و لم تترك لنا بعضا من الأجناد ص٢١

[٣٣] موسوعة معارك العرب، صالح زهر الدين، دار الندوة الجديدة ، ط. ١ ،بيروت ، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ ، ص. ٢٩٣
[٣٤] صلاح الدين الأيوبي في رؤية المؤرخ الجزائري عواد المنور، د. محمد مؤنس عوض، مجلة بحوث الشرق الأوسط، السنة ٤٨، العدد٧٣، مارس، ٢٠٢٢، ص١٧
[٣٥] صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، د. محمد مؤنس عوض، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص١٥٠

وفي قصيدة "الصوت فلسطيني" ص ١٣٧ يكرر ارتباطه مبتدئا يربط الحاضر بالماضي من غزّة حتى حطين التي انتصر فيها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي، نجد الاستعارة المكنية وزمن الاسترجاع وكأنّه يهيئ للنصر فرحته وأهازيجه.

يقول:

سافر في نبض شراييني ..من غزة حتى حطين

يا لحن نشيد عربي ..معنىً والصوت فلسطيني

وفي قصيدة" أين جيادكم التغلبيّة؟" ص١٠٣

يوجه سؤاله للأمّة التي تناست ماضي أجدادها فيذكرهم بتغلب هذه القبيلة العربية التي لا ترضى بالذل والهوان، فقد عُرف بنو تغلب بقوتهم وشدة بأسهم في الحروب[٣٦] ولذا فقد قالت العرب: لو أبطأ الإسلام لابتلعت تغلب العرب[٣٧]

وكان الرسول (ص) قد أدرك قوّتهم وأهميتهم بين القبائل العربية التي سمّتهم الغلباء، لذا فقد أعطاهم بعض الامتيازات. إضافة إلى ذلك فإنّ وجودهم بين أكبر قوتين: الروم والفرس، الأولى نصرانية والثانية وثنية، كان يشكل خطراً على المسلمين، فاقتضى الأمر التساهل معهم خشية أن يقعوا في أحضان إحدى هاتين القوتين.[٣٨]

عَنِ السفاح الشيباني، أن عُمَر بْن الخطاب رضي اللّه عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب فانطلقوا هاربين ولحقت طائفة منهم ببعد من الأرض، فقال النعمان ابن زرعة أو زرعة بْن النعمان: أنشدك اللّه في بني تغلب فإنهم قوم منَ العرب نائفون منَ الجزية وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يغن عدوك عليك بهم فأرسل عُمَر في طلبهم فردهم وأضعف عليهم الصدقة[٣٩] ومنهم كليب الذي بلغ مبلغا عظيما من السيادة والنفوذ –لا سيما إثر انتصاره في يوم خزار– حيث اجتمعت تحت رايته كل قبائل مَعَدّ فتوّجته، وقد فخر عمرو بن كلثوم التغلبي بيوم خزاز فقال في معلقته المشهورة:

ونحن غداةَ أُوقد في خَزازى

رَفَدنا فوق رَفد الرافدينا

وقد حاز من الجاه والعظمة ما جعل المثل يضرب بعزّته فيقال: "أعز من كليب وائل"[٤٠].

في هذا النصّ يوجه استغاثته على لسان الدماء التي أُريقت في مجزرة صابرا وشاتيلا والتي كانت تضمُّ مهاجري فلسطين الذين نزحوا تُجاه لبنان، ولكنّ اليهود لاحقوهم وقتلوا منهم الكثير

فهو يوجه لومه إلى كبار القوم شيوخ القبائل فيسألهم" أين جيادكم التغلبيّة" أين زحفكم وأين ردعكم لانتهاكات اليهود المتلاحقة؟ مصوّرا مشاهد القتل والدمار والبكاء

ألا تسمعون بكاء اليتامى

أنين الأرامل تحت حطام البيوت

وشيخا كبيرا

وطفلا صغيرا

---

[٣٦] ديوان الأخطل، انطوان صالحاني بيروت ١٨٩١ص٣٠٩

[٣٧] . شرح المعلقات العشر، التبريزي، كلكتا ، ١٨٩٤ ص١٠٨

[٣٨] دور قبيلة تغلب الربعية في القرن الأول الهجري، د. جاسم صكبان علي، مجلة كلية التربية للبنات العدد٢١ ، ٢٠١٠

[٣٩] فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت٢٧٩هـ، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص١٨١

[٤٠] تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ص٢١٣

هناك يموت

يرى شيوخ القبائل متخاذلة لم يرعْها الحاضرُ و لم تتوقع المستقبل الذي قد يكون أشد وأنكى، فهي لم تتخذ موقفا تجاه هذا الخراب سوى الكلام

ألستم حُماةَ الحِمى؟

وجنود القضية

فأين جيادكم التغلبيَّة؟

وتتكرر ال "أين" ليعبر عن نفثات صدره المكلوم

وفي نهاية النص يبشر بالأمل في أن الظلام سوف يمحى، وأنّ نهاية العدو قد اقتربت، فها هي المقاومة تعدّ للأمر عدّته، وستثأر لوطنها وستهزّ أركان الكيان وتمحو وجوده من الأرض المحتلّة، وبهذه الصورة المتفائلة من طلوع فجر الحريّة الباسم ينهي قصيدته.

فإنّ سيوف الغضب

تُسلُّ لتهتزَّ فوق بنان الغد المرتقب

ويطلع بعد دُجى الليل

فجر القضية.

هذه البشارات المتلاحقة يؤكدها في قصيدة" إلى وجه فلسطيني" ص١٤١ وهي التي اختارها عتبة لعنوان ديوانه، ونلاحظ هذا التوازي بين الصرخة والبسمة وكيف يكون التماهي لنرى فيهما بشريات الثورة لتقصم كبرياء المحتل وتكسر ظهره على وقع صليل أدوات الحرب.

في صرخة المولود يبتسم الفرح

ويكون بدءا للعواصف

والقواصم

والسيوف المرهفات

وللحروف الملهمة...!

*** الخلاصة**

واكب الشاعر مأساة القضية الفلسطينية حيث أحوال الشعب الفلسطيني، فقد تغيّرت حياتهم كلها وتبدّلت إلى مقاومة وصراع من أجل الوجود والهويّة مع عدو جاء غاصباً لأرضهم يقلب الحقائق ويموه الأمور.

وقد حاول الشاعر من خلال الأدب تبيين ما تعرض له الإنسان الفلسطيني وما يعانيه من البؤس، والآمال المعلّقة على تحرير أرضه التي سلبت ظلماً على يد عدو جاء من أقصى بقاع الأرض تآمرا، وبقوة وغطرسة صهيونيّة عالميّة.

حاول أيضا رسم الآمال المعلقة عند ذلك الإنسان اللاجئ والمشرّد للعودة إلى أرضه فلسطين، فالعودة عنده حلم لابد أن يتحقق؛ لأنه ضمان لبقاء فلسطين وحفظاً للذات والوجود والهويّة الفلسطينيّة، نرى الشاعر في حالة حرب نفسية وانكسار إنساني يدفعه إلى البوح الذي يتشكّل هامسا صارخا لائما معاتبا مادحا قادحا، ونلاحظ كيف وظّف الشاعر عبد الستار سليم التناص في ديوانه وكيف استدعى هذا التراث الديني من القرآن الكريم والسنة النبويّة والإنجيل سواء كان تناصا مباشراً أو غير مباشر، والتناص الأدبي من خلال الشعر والأمثال والموروث الشعبي، والتناص الأسطوري والتناص التاريخي، وكيف تقاربت النّصوص فيما بينها و تعالقت لتخلق من النّص الأول نصا ثانيا ينشط في نص آخر ، لتتشكل مجريات التناص من خلال عملية اقتباس الصورة الجزئية لبناء الصورة الكلية، فالتناص مصطلح ذو بعد دلالي

عميق إذ هو تمازج بين النص الحديث والنص القديم ليتولد من هذا التمازج نص إبداعي جديد يحمل دلالات مختلفة تخدم الرسالة التي يطمع الأديب إلى بثها للقارئ، ويعتبر من أكثر الدلالات على اتساع أفق الكاتب أو الشاعر، وكذلك ليشكِّل رؤيته تجاه القضية و قد جاء بالتناص ليدلل ويقوي الخصائص التي يتسم بها مضمون شعر المقاومة، فهو يؤكد على الهوية، ويبرز جرائم العدو وانتهاكاته، ويدعو إلى النضال، ويشيد بالتضحيات التي قدمها الشهداء، ويصف مشاهد المقاومة، ويستعيد أمجادنا الماضية ليذكرَنا بها ويحفّز الهممَ ويفجّر الطاقاتِ، ويعليَ مكانة الشهداء، و ويغرس بذورَ الأمل والبشاراتِ؛ لاستعادة الأرض المغتصبة وتحقيق النّصر المؤزر.

*** المراجع**


أدب المقاومة غالي شكري ٦٠ مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص٣١٧

أساسيات في علم النفس، د. جنان سعيد الرحو، مطبعة الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٣٥٠

أدب الثورة ١٩١٩، عبد الصبور مرزوق، القاهرة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدراسات الأدبية، دار العلوم

لنيل درجة الدكتوراه في الأدب جامعة القاهرة، ١٩٧٠ ، ص ١

المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، عبد العزيز شرف، دار الجيل بيروت، دون طبعة، دون توزيع، ص ٢

ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، رسالة ماجيستير، آداب القاهرة، ١٩٦٤ص١٩٢

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ص١١٤

ديوان كعب بن زهير، شرح ودراسة د. مفيد قميحة، دار الشواف، الرياض، السعودية، ١٩٨٩ص٦٦

التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، دار كنوز، عمان، الأردن الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩، ص٨

بارت من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة عبد السلام بنعبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر – عدد ٣٨ آذار ١٩٨٦ – بيروت ص١١٥

نظرية التناصية، مارك دوبيازي، ترجمة الرحوني عبد الرحيم، مجلة علامات، ج ٢١ م ٦ – ١٤١٧هـ ١٩٩٦ م ص ٣١٠

التناص بين التراث والمعاصرة د. نور الدين لوشن، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٥ ع٢٦، صفر ١٤٢٤هـ، ص ١٠٢٠

التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص١٠

ماهية التناص، عبد الجبار الأسدي، مجلة الرافد، الشارقة، عدد٣١، مارس، ٢٠٠٠، ص١٥

الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)

تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١ ص٢١٥

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة، ج٣ ص٢٢٢

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ ج٢ ص٢٨٠

ظاهرة التناص في الشوقيات مهند عباس علي، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد، آب ٢٠١١، ص٥٣

ديوان عبد الله بن المبارك، جمع وتحقيق د. مصطفى بهجت، مجلة البيان، ١٤٣٢هـ، ص٦٦

همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص١١

المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، ص٢٣

ديوان حافظ إبراهيم، جمع وتحقيق أحمد أمين وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ ص٣٢١

مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، ج١ ص٩١

الموروث الشعبي فاروق خورشيد، دار الشروق، الطبعة الأولى،١٩٩٢، ص١٢

مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي ت٣٤٦هـ، منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٨٨م، ج٢ص٧١

الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، (د.ت)، ص٢٠٢

لأسطورة في الشعر العربي الحديث، د. أنس داوود، مكتبة عين شمس، ( د.ت)، ص١٢

الأسطورة عند شعراء مصر المعاصرين، عدنان طهما سبي، مجلة اللغة العربية، السنة الأولى، العدد٢، ٢٠٠٥م، ص٣

موسوعة معارك العرب، صالح زهر الدين، دار الندوة الجديدة، ط. ١، بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ ، ص. ٢٩٣

صلاح الدين الأيوبي في رؤية المؤرخ الجزائري عواد المنور، د. محمد مؤنس عوض، مجلة بحوث الشرق الأوسط، السنة ٤٨، العدد٧٣، مارس، ٢٠٢٢، ص١٧

صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، د. محمد مؤنس عوض، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص١٥٠

ديوان الأخطل، انطوان صالحاني بيروت ١٨٩١ص٣٠٩

شرح المعلقات العشر، التبريزي، كلكتا، ١٨٩٤ ص١٠٨

[33]–دور قبيلة تغلب الربعية في القرن الأول الهجري، د. جاسم صكبان علي، مجلة كلية التربية للبنات العدد٢١، ٢٠١٠

فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت٢٧٩هـ، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص١٨١

تاريخ العرب القديم، توفيق برو، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ص٢١٣